

أكدت أن إنجازات المرأة عبر التاريخ تدون بمداد من ذهب الوزاني: للأسف في عصر الحقبة اللامعة من تاريخ الإسلام سُجنت المرأة في البيوت وعُطلت أدوارها في صناعة الحضارة باسم الدين



لطيفة الوزاني مع الزميلة ليلى الشافعي

أكدت د.لطيفة الوزاني من دولة المغرب الشقيق أن المرأة حررها الإسلام وانصفها وجاء المنتسبون للدين والمغالون فيه وأدوها مرة أخرى، مع أن الإسلام كرمها في آيات كثيرة من القرآن الكريم وسواها بالرجل في الإنسانية وفي التكليف وفي الجزاء والثواب وفي العقاب أيضاً، مشيرة إلى أن المرأة أثبتت قدرتها عبر العصور وأنجزت الكثير من الأعمال العظيمة.

وتطرق إلى دور المرأة في المجتمع والواجب عليها للنهوض به، وتناولت الجانب الشرعي الداعم والمعارض لسدور المرأة وامكانياتها وقدرتها في بناء المجتمعات المدنية، التقنيا بها خلال المؤتمر العالمي للمرأة الذي أقيم في الكويت وفيما يلي نص الحوار:

معاناة المرأة

شاركت في المؤتمر العالمي حول دور المرأة في العمل الخيري واخترت محور بيان الجانب الشرعي الداعم والمعارض لدور المرأة وقدرتها في بناء المجتمعات المدنية، التقنيا بها خلال المؤتمر العالمي للمرأة الذي أقيم في الكويت وفيما يلي نص الحوار:

معاناة المرأة

● لكي أيسر معاناة المرأة الطويلة من الظلم والقهر وسوء الفهم وكيف حررها الإسلام وانصفها، وقبل الصحابة رضوان الله عليهم بهذه المساواة رغم أنهم حديثو عهد بالجاهلية وتقاليدها ورواسبها لأنهم كانوا أكثر الناس انصياعاً للحق وانتقالاً لاتجاهاته ويرجع ذلك لافتقارهم سنة الحبيب المصطفى ﷺ الذي انصف المرأة وأقر بقيمتها ومكانتها ودورها.

قضية المرأة

ما قضية المرأة الآن؟
● بعد الحقبة اللامعة من تاريخ الإسلام، سُجنت المرأة في البيوت وجمدت قدراتها ومواهبها وعطلت عن ادوارها في بناء المجتمعات وصناعة الحضارة، كل ذلك باسم الدين، والدين برىء مما ينسبون، وإذا كان الجاهليون وأدوا الأثني مخالفة الإلحاق والعار، فإن بعض المنتسبين للدين والمغالين فيه وأدوها مرة أخرى انتقاء الفتنة ودرءاً للمفاسد، وزعموا أن لها فرضيتين: احدهما لبيت زوجها والاخرى لقبورها، مستعملين في ذلك بعض النصوص القرآنية والحديثة التي أفرغت من معانيها الإنسانية السامية واشربت معاني هي بريئة منها إلى يوم الدين، فكان طبيعياً أن تصبح للمرأة قضية تناضل من أجلها وتبذل في سبيلها الغالي والنفيس، وانبرت لضررتها جهات معروفة وغير معروفة من جمعيات ومنظمات وهيئات حقوقية وطنية ودولية، فاختلفت الحبال بالنابل واضطربت خيوط القضية، فالتبس الحق بالباطل والصواب

فهذه الآية الكريمة تثبت مبدأ الولاء بسن الرجل والمرأة، وتفرض قاعدة أساسية من قواعد بناء المجتمع تجعل المرأة طرفاً مهماً في تحمل مسؤولية التغيير والإصلاح المجتمعي.

الأمر بالمعروف

وهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مفروض على المرأة كما هو واجب على الرجل؟

● نعم، هو فرض وواجب على المرأة، مثل الرجل وتشمل أنواعاً وضروباً من الإصلاح في شتى مناحي الحياة، فقال الرسول ﷺ «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فليسهه فإن لم يستطع فليقلبه وذلك أضعف الإيمان»، لذا فإن قيام المجتمع من البديهييات التي أقرها الإسلام.

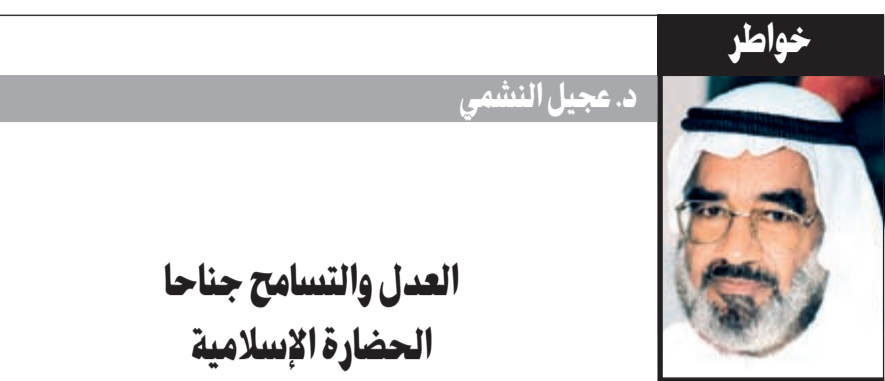
لا حرج

لا أترى أن هذا الأمر يسبب للمرأة حرجاً في الدين؟

● لو كان في ذلك حرج في الدين لكانت أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن والصحابيات الجليات أول من أحجم عن ذلك، لكننا نجد العكس تماماً فقد سجل لنا التاريخ بما لا يدع مجالاً للشك مشاركة والمؤمنات والصادقات والصابرات والخاشعات...، والمساواة والقابلية، قال جل شانه: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم)، وقوله تعالى في عقوبة الزانية والزانية: (الزانية والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)، ويضاف إلى ما أوردته السنة النبوية من أقوال وأفعال زادت المرأة عزرة وكرامة، وقد أوجز رسول الرحمة، صلى الله عليه وسلم، في قوله: «إنما النساء شقائق الرجال».

دور المرأة

كيف ترى دور المرأة في المجتمع الآن؟
● تشكل المرأة نصف المجتمع والنصف الآخر في من تلده وتنشؤه وتربيته وتعلمه فتتخرج على يديها جميع مكونات المجتمع التي ستصبح حسب ما ترعرعت عليه طاقات تعمل على بنائه أو هدمه ومن هنا يتضح الدور الخطير الذي تضطلع به المرأة تجاه المجتمعات، وقد أثبتت قدرتها عبر العصور على انجاز الأعمال العظيمة التي تترك الأثر على المجتمع وتدون بمداد من ذهب على صفحات التاريخ، وقد أقر القرآن الكريم هذا الدور وحث المرأة على القيام به جنباً إلى جنب مع الرجل، قال عز وجل: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)،



د. عجيل النشمي

العدل والتسامح جناحاً الحضارة الإسلامية

ان من اخص عناصر السيادة: ان يتحاكم الناس في الدولة الواحدة الى قانون واحد، ويتغاضى المسلمون عن ذلك لخصوصية الأديان في حرية التحاكم، فان رفعوا أمرهم اليها حكماً بينهم بأحكام شرعية الإسلام، وألا فإنهم يتركون وما يدينون. وإننا انما نذكر ما نقله المستشرقون لبيان واقع التسامح، وان كانت بعض القضايا تحتاج الى نظر فقهي، فليس القصد تحرير المسائل وانما مجرد بيان واقع، يقول آدم متزن: كان الشرع الاسلامي خاصاً بالمسلمين، فقد خلقت الدولة الإسلامية بين أهل الملل الاخرى وبين محاكمهم الخاصة، والذي نعلمه من أمر هذه المحاكم: أنها كانت محاكم كنسية، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة ايضاً، وقد كتبوا كثيراً من كتب القانون، ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج، بل كانت تشمل - الى جانب ذلك - مسائل الميراث، وأكثر المنازعات التي تخص المسيحيين وحدهم، مما لا شأن للدولة به، على انه كان يجوز للذمي ان يلجأ للمحاكم الاسلامية، ولم تكن الكنائس بطبيعة الحال تنظر الى ذلك بعين الرضا، ولذلك ألف الجاثليق - رئيس أهل ملته - تيموتوس نحو عام 200 هـ - 800م - كتاباً في الاحكام القضائية المسيحية، لكي يقطع كل عذر يتعلل به النصارى الذين يلجأون الى المحاكم غير النصرانية بدعوى نقصان القوانين المسيحية. وفي الفصلين الثاني عشر والثالث عشر من هذا الكتاب فرض تيموتوس على من يذهب طائعا الى المحاكم ان يتوب ويتصدق ويقوم على المسح والرماد.

كما ترك لنصارى صقلية كل ما لا يمس النظام العام، فكان للنصارى قوانينهم المدنية، والدينية وحكام منهم للفصل في خصوماتهم، وجباية الجزية التي فرضها العرب المسلمون عليهم، وهي 48 ديناراً عن كل غني، و 24 ديناراً عن كل موسر، و 12 ديناراً عن كل من كان يكسب عيشه بنفسه، وكانت هذه الجزية التي هي دون ما كان يأخذه الروم لا يؤخذ مثلها من رجل الدين والنساء والاولاد.

وقد جعل العرب المسلمون كل ما له علاقة بالحقوق المدنية كالتملك والارث، وما اليها ملائماً لعادة صقلية فلم يرغب النورمان عنه حين استولوا عليها.

وقد سمح العرب المسلمون في ايام سلطانتهم للنصارى بالحفاظ على قوانينهم، وعاداتهم وحريةهم الدينية.

وكان لهم على الحكومة ان تحميهم ولم تكن تقبل شهادتهم في المحاكم الاسلامية، ولكنهم كانوا يتمتعون بحكم ذاتي، يخضعون فيه لزعمائهم، وقضاتهم وقوانينهم، وقد أنشأ المسلمون محاكم دائمة على درجتين، تاركين للمحاكم القبطية امر الفصل بين الاقباط، وقد احتسروا نظم المصريين وعاداتهم ومعتقداتهم.

وقد اصدر الخليفة المقتدر في سنة 311 هـ - 923م كتاباً في الموارث امر فيه بأن «ترد تركة من مات من اهل الذمة - ولم يخلف وارثاً - على اهل ملته، على حين ان تركة المسلم كانت ترد الى بيت المال».

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري صدر منشور كتب للصابئين عن أمير المؤمنين، امر فيه - الى جانب صيانتهم، وحراستهم، والذب عن حريمهم، ورفع الظلم عنهم ونحو ذلك - بالتخليفة بينهم وبين مواريتهم، وترك مداخلتهم ومشاركتهم فيها، لان أمير المؤمنين يرى في مواريت الصابئين وغيرهم من المخالفين رأي رسول الله ﷺ، اذ يقول عنه «لا يتوارث أهل ملتين».

وقد صدر نحو منتصف القرن الرابع الهجري منشور كتب للصابئين المقيمين بحران والرقعة وديار مضر أمر فيه الخليفة بصيانتهم وحراستهم.

المشاركة في الأعياد والصلوات:

وقد يبلغ التسامح حد المشاركة او التعاطف في الأعياد الدينية ودخول المصلى، فهذا وان كان يحتمل الخلاف الفقهي، لكن بغض النظر عن هذا فانه قد حدث فعلاً، وسجل تاريخياً، ومقتصدنا نقل واقع دون الدخول في مبررات قبوله او رفضه. فمن مظاهر التسامح الديني في حضارتنا: الاشتراك بالأعياد الدينية بمباهجها وزينتها، فمُنذ العهد الاموي كانت للنصارى احتفالاتهم العامة في الشوارع تتقدمها الصلبان، ورجال الدين باليستهم الكهنوتية، وقد دخل البطريرك ميخائيل مدينة الاسكندرية في احتفال رائع، وبين يديه الشموع والصلبان والانجيل والكهنة يصيحون: قد أرسل الرب اليك الراعي المأمون، وكان ذلك في عهد هشام بن عبدالمك.

وجرت العادة أيام الرشيد بأن يخرج النصارى في موكب كبير، وبين ايديهم الصليب، وكان ذلك في يوم عيد الفصح.

ويذكر لنا القدسي في «أحسن التقاسيم» ان الاسواق في «شيراز» كانت تزين في اعياد النصارى، وان المصريين كانوا يحتفلون ببدء زيادة النيل في وقت عيد الصليب.

ومن مظاهر التسامح الديني في حضارتنا: ان كثيراً من الكنائس كان يصلي فيها المسلمون والمسيحيون في وقت واحد ابان الفتح الاسلامي، ففي كنيسة يوحنا الكبرى في دمشق التي أصبحت الجامع الاموي فيما بعد، رضي المسيحيون - حين الفتح - ان يأخذ المسلمون نصفها، ورضي المسلمون بان يصلوا فيها صلاتهم، فكانت ترى في وقت واحد ابناء الديانتين يصلون متجاورين، هؤلاء يتجهون الى القبلة، وأولئك يتجهون الى الشرق، وانه لظهر عجيب فريد في التاريخ، لا مغزى عميق في الدلالة على التسامح الديني الذي بلغته حضارتنا.

حرية العمل مكفولة للأكفاء

ومن مظاهر التسامح الديني: ان كانت الوظائف تعطى للمستحق الكفء - بقطع النظر عن عقيدته ومذهبه - وبذلك كان الاطباء المسيحيون في العهدين الاموي والعباسي محل الرعاية لدى الخلفاء، وكان لهم الاشراف على مدارس الطب في بغداد ودمشق زمناً طويلاً، فقد كان ابن اثال الطبيب النصراني طبيب معاوية الخاص، وكان «سرجون» كاتبه، وقد عين مروان «انثاسيوس» مع آخر اسمه اسحاق في بعض مناصب الحكومة في مصر، ثم بلغ مرتبة الرئاسة في دواوين الدولة، وكان عظيم الثراء واسع الجاه، حتى ملك اربعة آلاف عبد، وكثيراً من الدور، والقرى والبساتين والذهب، والفضة، وقد شيد كنيسة في «الرها» من ايجار اربعمائة حانوت كان يملكها فيها، وبلغ من شهرته ان وكل اليه عبدالمك بن مروان تعليم اخيه الصغير عبدالعزيز الذي اصبح والياً على مصر فيما بعد، وهو والد عمر بن عبدالعزيز.

ومن اشهر الاطباء الذين كانت لهم الخطوة عند الخلفاء: جرجيس بن يختيشوع، وكان مقرباً من الخليفة المنصور، واسع الخطوة عنده، يحرص على راحته وسروره، حتى كان لجرجيس زوجة عجوز، فأرسل اليه المنصور ثلاث جوار حسان فرفض قبولهن قائلاً: ان ديني لا يسمح لي بأن اتزوج غير زوجتي ما دامت في الحياة، ففسر منه المنصور، وأزاد له اكراماً، وخرج اليه ماشياً يسأل عن حاله، فاستأنته الطبيب في رجوعه الى بلده ليدفن مع اباة، فعرض عليه المنصور ان يسلم ليدخل الجنة فأبى وقال: رضيت ان اكون مع آباي في جنة او نار، فضحك المنصور، وامر بتجهيزه، ووصله بعشرة آلاف دينار.

وكان سلمويه بن بنان النصراني طبيب المعتصم، ولما مات جزع عليه المعتصم جزءاً شديداً، وامر بان يدفن بالبخور والشموع على طريقة ديانتة.

وكان يختيشوع بن جبرائيل طبيب المتوكل وصاحب الخطوة لديه، حتى انه كان يضاهي الخليفة في اللباس، وحسن الحال، وكثرة المال، وكمال المروءة. ولم يكن في التشريع الاسلامي ما يغلق دون اهل الذمة اي باب من ابواب الاعمال، وكان قدمهم راسخاً في الصنائع التي تدر الارباح الوافرة، فكانوا صيارفة وتجارا، وأصحاب ضيع، واطباء، بل ان اهل الذمة تظلموا انفسهم بحيث كان معظم الصيارفة والجهابذة في الشام - مثلاً - يهودا على حين كان اكثر الاطباء والكتبة نصارى، وكان رئيس النصارى ببغداد هو طبيب الخليفة، وكان رؤساء اليهود وجهابذتهم عنده، وكان اصغر دافعي الضرائب هم اليهود الخياطين، والصباغين، والاساقفة، والاساقفة والخرازين، ومن اليهم.

وكانوا يتقلدون مناصب الدولة كالمسلمين، وقد كانت اسبانية العربية: البلد الاوروبي الوحيد الذي كان اليهود يتمتعون فيه بحماية الدولة ورعايتها، وقد زاد عدد اليهود في اسبانية العربية كثيراً.

وكانت طوائف الموظفين الرسميين في البلاد الاسلامية تضم مئات من المسيحيين، وقد بلغ عدد الذين رفقوا منهم الى المناصب العليا في الدولة من الكثرة درجة اثار شكوى المسلمين في بعض العهود.

وأخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.



لطيفة الوزاني في مؤتمر المرأة العالمي